نـافـذة

الوضوح المدهش

يمكن أن نجد مسوغاً للضعف عند أحدنا إن كان يجهل نقاط قوته ونقاط ضعفه، ونقاط قوة الآخر ونقاط ضعفه! ويمكن أن نفهم خروج أحدهم في العتمة ليتناول خصمه ويردیه! ونجد مسوّغاً لمن لا علم له بأي أمر أن يفاجأ! لكن الأمر الذي لا يمكن تسويغه أو قبوله أو فهمه هو أن يكون الوضوح في أي أمر قد بلغ حدّ الإدهاش، بل أكثر من الوضوح نعرفه بدقائقه، ونعرف الطرائق، ونكتفي بالتنظير، ونتشدق بالمعرفة... منذ عقود متطاولة قرأنا (بروتوكولات حكماء صهيون) وتبارينا بطبعها ونشرها وتوزيعها، فأدخلت الهلع والخوف في نفوس كثيرين ممن قرؤوا، بل تصدى عدد من الكاتبين الأمين ثقافة وسياسة للكتابة عنها وتحليلها، وكتب حولها قادة وضباط، وفرحنا عندما عرفنا أنهم يفهمون هذه البروتوكولات، سواء آمنا بحقيقتها أم بمبالغتها، والذي ظهر أن نشر هذه البروتوكولات أدى دوراً سلبياً، إذ أدخل الخوف والهلع لدى الناس عامة، وبدا الصهاينة مخلوقات لا يمكن أن تقاوم، وتسيطر على العالم، ولا إمكانية لمجابهتها بأي وسيلة، فألقى الجميع الأسلحة أمامهم.. وقرأنا «أحجار على رقعة الشطرنج» ورأينا التحكم بالعالم والحكومات، وصار الجاهل يتحدث عن حكومة العالم الخفية وتحكمها بكل مسار في الحياة، وصرنا نسوّغ عجزنا عن فعل شيء، بأن ذلك مقدر ولا يد لنا فيه، هكذا تريد حكومة العالم الخفية، هكذا تريد الماسونية؟! هل صحيح أن كمّ الفساد هو من صنعهم؟ وهل بإمكان أحد في العالم أن يمنعك من القراءة والمعرفة والثقافة والانفتاح؟ إن أعتى الأمراض لم تمنع المعري وابن سيدة وطه حسين من الإبداع والتعملق، فهل أومن بالمؤثر الداخلي أكثر؟

قرأت كتابين للصديق الدكتور سامي مبيض «شرق الجامع الأموي- الماسونية» و«غرب كنيس دمشق- اليهودية» وفي كلا الكتابين قرأت أشياء أعرفها سابقاً، وأشياء كثيرة لم أكن أعرف عنها شيئاً، ولمست حرص الصديق الدكتور على أن يترك للقارئ حرية التفسير، وبعد قراءة الأول طرحت أسئلة لم أحظ بجواب عنها عن الماسونية وحقيقتها، وأعود لأطلب أن تكون الثقافة التشريحية متاحة للجميع، من دون أن نقف أمام بعبع ونحن نجهله جهلاً تاماً... وبعد قراءة الثاني وقفت حائراً أمام حركة التاريخ الحديث، وما فعلته الصهيونية العالمية، وخاصة في مرحلة ما قبل تأسيس الدولة العبرية الصهيونية المحتلة، وقد كان الحديث واضحاً بين المنظمة الصهيونية والقادة العرب والسوريين في مطلع القرن العشرين، والنتائج كانت معروفة، ومع انتهاء قراءة الكتاب أصبت بإحباط شديد، فما دام وايزمان وشاريت يطلبان من العرب مساعدتهما في هجرة اليهود لتأسيس دولة إسرائيل، وقد جوبها بالرفض المطلق، ماذا فعلنا في المقابل؟ مرت سنوات عشر ليبشر وايزمان بقدوم الصهاينة وبنجاحهم، ولم نجد أي تصرف عربي على أرض الواقع! وكل ما وجدناه في ثمانية عقود هو التهافت لإرضاء الصهاينة، فهل يكون كل تاريخ العرب الحديث محصوراً في تسهيل قيام إسرائيل اليهودية؟

لا شك في وجود مؤامرة، ولكنها كانت واضحة وضوحاً تاماً، وكان بالإمكان التخفيف من آثارها وكوارثها، ولكننا لم نفعل شيئاً سوى الرفض، وما أقرته بريطانيا من قرار التقسيم في عصبة الأمم لا يستطيع العرب ولو اجتمعوا الوصول إلى نصفه في المكتسبات.. وكل ما فعلناه الرفض، ولا بأس من التمسك والرفض وعدم القبول بالاستسلام، لكن شريطة أن نصل إلى الأفضل..!

كل ما أرادته المنظمة الصهيونية حصل وزيادة، وكل ما رفضه العرب كان لمجرد الرفض، مع أن اللعب كان واضحاً وعلى المكشوف وفوق الطاولة، وأحسن ما وصل إليه العرب مجتمعين هو إنهاء العرب كأمة، لتكون إسرائيل الكيان هي المتحكم، وهي الأقرب إلى وضعهم الحياتي، ولا بأس من حرق مصر والعراق وسورية واليمن وتونس وما شئت... لكن المؤامرة لن تمر، فالعرب يعرفون نيات الصهاينة!

إسماعيل مروة

في يوم المرأة العالمي... تمكينها ثقافياً ومعرفياً وفنياً

لوحات أنثوية تجمع همّاً اجتماعياً يرفض الرضوخ لأزمة أو لتقليد

سوسن صيداوي

مجرد لقطة، تستغرق ثانية من الوقت، ولكنها قادرة على أن توقف الزمن، وتوثّق المشاعر والأحاسيس وكل الأحداث عبر صورة، كانت بالأبيض والأسود، وهي اليوم ملونة، غنية، ومتنوعة، مثلها مثل المرأة، الجامعة بين القوة والضعف، الحنو والصرامة، الجمال والأنوثة إضافة إلى الكثير مما تمتلكه الحياة لأن في النهاية، المرأة حياة. بمناسبة عيد المرأة العالمي وبحضور كبير من الفنانين والمهتمين، افتتحت جمعية تاء مبسوطة معرض تصوير ضوئي يحمل اسم(٣X٩)لمجموعة فتيات في غاليري جورج كامل بدمشق، وذلك ضمن الخطة السنوية للجمعية التي تهدف إلى تمكين المرأة السورية عبر ورشات عمل في مجالات ثقافية. شاركت في المعرض تسع متسابقات، تقدمنّ إلى الورشة التي أعلنت عنها الجمعية، وعلمت الفتيات بها عبر صفحتها على الفيس بوك، وتم قبولهن، فتلقين تدريبات على آليات التصوير الضوئي. أسماء المشاركات: تاتيانا أبو عسلي، سولير أبو ضاهر، فريال لبابيدي، رنا غزالة، كندة دوبا، مريم نحلاوي، مرام الأحول، ندى محمد، هبة أبو هيف. كل مشاركة قدمت ثلاث لوحات، تتمحور مواضيعها حول النساء وظروف حياتهن اليومية، ومعاناتهن اليومية. وبقي أن نذكر بأنه سيتم في ختام المعرض اختيار ثلاث فائزات بعد عرض الأعمال على لجنة التحكيم تضم فنانين تشكيليين وفوتوغرافيين.

الفرص لتعزيز مكاسب المرأة

اعتبرت رئيس مجلس إدارة جمعية «تاء مبسوطة» ديانا جبور، أنه أمر طبيعي أن تستغل الجمعية يوم المرأة العالمي وتزامن معه معرض (٣X٩) وأن تنشر فيه نشاطا لها، لأن الجمعية نسائية وتستهدف بنشاطاتها النساء، متابعة «جمعيتنا (تاء مبسوطة) ثقافية وفنية على خلاف بقية الجمعيات الموجودة، نحن نهدف إلى تمكين المرأة ثقافياً ومعرفياً وفنياً، حيث تتمكن الأخيرة من دخول سوق العمل الفني والثقافي، وأن تكون مؤهلة للمنافسة بالاقتصاد الحديث المعتمد على الاقتصاد المعرفي، وبالتالي امتلاك أدوات مختلفة عن المهارات التقليدية التي عادة يتم تدريب النساء عليها بمثل هذه الجمعيات المدنية». وحول اختيار شروط قبول الفتيات والمستوى المطلوب للموافقة على المشاركة في الورشة أشارت «كان من قبل لدينا ورشة كتابة إبداعية، والمشاركات فيها لسن بالضرورة أن ينتجنّ نصوصاً إبداعية، لكن يكفي أن يكنّ متذوقات للفن، فبمجرد قدرتهن على تذوق الفن والدفاع عن حقهن بأن يتابعن أعمالاً فنية وإبداعية، هذا يعني بأن كل واحدة منهن تحولت إلى منارة وسط ظلام الضيق، وممكن في مرحلة لاحقة أن تصبح كل واحدة إما متابعة وشغوفة، أو كاتبة ومبدعة، أو ربما ناقدة، لأنها في ظل تلك الحالات استلمت أدوات الكتابة والتذوق. وهنا في ورشة التصوير الضوئي، عرّفنا المشاركات على الحرفة، وكيف يمكن أن نترك مساحة للإبداع والفن ومعرفة القانون ثم التمرد عليه، لأن التمرد من دون معرفة قانون يصبح فوضى، وتركنا لهن حرية اختيار المواضيع على أن تكون حول المرأة أو تخدم المرأة».

وحول دور المرأة السورية الذي يجب تفعيله أكثر في مجالات الثقافة تحدثت رئيس مجلس إدارة الجمعية قائلة «لدينا أيضاً صالون ثقافي وهو تجربة رائدة بسورية، فحتى الصالون الثقافي سابقا الذي كانت تديرة امرأة في مصر، بالأساس تلك المرأة هي من بلاد الشام-مي زيادة-فلكي نبقى على خارطة الوجود والحضارة يجب أن نعيد إحياء الثقافة والإبداع، كي ترجع الثقافة جزءاً من حياتنا الاجتماعية وألا تكون مفصولة عن يومياتنا. أما عن توسيع شريحة السيدات المستهدفات في الجمعية وخاصة في فترة الحرب التي تعيشها سورية فهذا يعتمد على الإمكانات أولا، لكن الحرب هي تحد رغم ألمها ووجعها، وهنا يجب أن نسأل أنفسنا السؤال التالي:لم لا نحول هذا التحدي إلى فرصة، بمعنى أن هناك نساء استفدن من الحرب وأثبتنّ كفاءتهنّ، فهذه الامتيازات إذا لم نؤسسها ونحطها بمظلة مؤسسات مدنية وببيئة قانونية، يجب استثمار الفرصة لنرسّخ ونعزز مكاسب المرأة التي تحققت رغم الحرب».

التحكيم بموضوع

من جانبها تحدثت عضو مجلس إدارة الجمعية لورا أبو خضير عن أعضاء جمعية التحكيم وعن المواضيع المشاركة في المعرض، متابعة «تم اختيار لجنة التحكيم بالتنسيق بين جمعية تاء مبسوطة وغاليري جورج كامل، وهم من عدة اختصاصات ومجالات لأن التصوير فيه شق تقني وكذلك فيه شق فني وإبداعي، وبالتالي أسماء اللجنة التي ضمت فنانين تشكيليين وفوتوغرافيين على سبيل الذكر: ريمة سلمون، يوسف عبدلكي، نصوح زغلولة وجورج كامل. بالنسبة إلى مواضيع المعرض، كان مطلوباً من المتسابقات أن يقدمنّ رسالة أو موضوعاً متكاملاً، فمنهنّ من تحدثت بأعمالهن مثلا عن الحلم ومنهنّ عن العادات الاجتماعية والقيود، ومنهن من تحدثت عن الخيبات. والمواضيع مع الأسماء على الشكل التالي: ندى محمد (أزهار الإسفلت)، سولير أبو ضاهر (حياتها)، فريال لبابيدي (كينونة امرأة)، مرام الأحول (ذلك الزمن)، كندة دوبا (بدايات صحيحة الأخ- الأب-الزوج)، هبة أبو هيف (موت أبيض)، مريم نحلاوي (بين اليأس من الحياة والأمل بها مفتاح فامتلكيه)، تاتيانا أبو عسلي(روح)، رنا غزالة(قيامة).

مهنة لا هواية

من جانبه تحدث مدرب الورشة تليد الخطيب بأن عدد المشاركات في البداية كان اثنتي عشرة مشاركة، وبعد انسحاب ثلاث بقي تسع مشاركات تحدّين ضيق وقت الورشة، وظرف الأزمة القاسي الذي تعرضت له العاصمة في الفترة السابقة، متابعاً «أنا فخور بالجهود التي قدّمنها، علما أن وقت الدورة ضيق، والصور أخذت بوقت قصير وضمن أسوأ أسبوع عاشته دمشق نتيجة قذائف الهاون، ورغم ذلك خرجن وصورن في أماكن متعددة، لذا كان لي الشرف بأن أكون المشرف على هذه المجموعة المميزة من الفتيات. وبالطبع جمعية تاء مبسوطة تعلن أنشطتها عبر وسائل مختلفة منها وسائل التواصل الاجتماعي، من هنا عرفت المشاركات بهذه الدورة، وتقدمنّ لها. وكان المعيار الأساس والأهم لقبول المشاركات، هو الإحساس بحالة الرغبة في التعلّم لديهن. وهدفنا من الورشة والمعرض الحالي بأن نؤمّن لهنّ مدخلا إلى التصوير الفوتوغرافي، لا أن يبقى موضوع التصوير هواية، بل أيضاً مهنة، وبمناسبة عيد المرأة العالمي أحب أن أؤكد أن المرأة السورية أثبتت بأكثر من موقع بأنها ليست فقط قادرة على أن تتكيف مع الأحداث الأليمة التي يعيشها بلدنا، بل قادرة أن تتسامى وتبدع أكثر-ربما أفضل من أوقات السلم- ولو لدي تسع كاميرات لكنت قدمتها للمشاركات التسع».

الهمّ اجتماعي

في حين تحدث الفنان التشكيلي د. طلال معلا بأن المعرض ناقص بمكان، وبرأيه لا يكفي أن يمتلك المصور إمكانية استعمال الكاميرا، فلابد أن يدخل إلى المختبر، ويتحكم بألوان الصورة، مشدداً على ضرورة أن يتم استكمال الورشة بأعمال مختبرية في التصوير الفوتوغرافي، لتحصل المشاركات على موهبة متكاملة المعرفة التقنية في هذا المجال، متابعاً «لكن المعرض بالعموم جيد إذا قسناه بالمستوى الموجود، ومن الملاحظ بأن هناك هماً اجتماعياً لدى الجميع، وهماً ثانياً هو هم المرأة، باعتبارهن جميعاً نساء، رغم أنه لا ضير لو كان الهم مجتمعياً بشكل عام دون تمييز بين رجل وامرأة، لكن رغم اختلاف المواضيع ووجهات النظر، إلا أن الصورة الاجتماعية هي الحاضرة».

من المتسابقات

تحدثت المشاركات عن الورشة وما قدمته لهنّ من خبرة وحلم ممزوج بأمل واعد باستمرار موهبة ممكن أن تصبح مع الأيام حرفة أو وسيلة عيش. ومن المشاركات ندى محمد التي قالت «أنا طالبة في السنة الأولى في كلية الاقتصاد. بصراحة يعود الفضل لاشتراكي بالمسابقة لصديقتي التي تعلم بأنني أحب التصوير وأمارسه دائماً عبر كاميرا الموبايل، حيث أخبرتني عنها عبر صفحات التواصل الاجتماعي، وطبعا فضولي دفعني إلى زيارة الصفحة والمتابعة. شاركت بالمعرض بمجموعة من الصور كنت أطلقت عليها اسم «أزهار الإسفلت» وهي تحكي عن الطفولة وما يعانونه في الأزمة من مشاق وصعاب وكيف هم محرومون من أبسط حقوقهم. أنا سعيدة جداً بانتسابي إلى الورشة لأنها فتحت لي الآفاق وصقلت موهبتي البسيطة، ومكنتني من التعامل مع الكاميرا، ومنحتني الكثير من المعلومات والقواعد التي لم أكن أعيرها انتباها أثناء التقاطي للصور».

بينما مريم نحلاوي تجربتها في الورشة لم تكن مختلفة وقالت «أنا طالبة في كلية الاقتصاد وأعمل في مجال المحاسبة، اليوم وسائط التواصل الاجتماعي هي الأسرع في الإعلان، وعبر صديقتي التي شاركت إعلان الجمعية على صفحتها، علمت بالورشة وأرسلت إليهم برسالة وتم التواصل ثم الاشتراك، هذه أول تجربة لي من حيث التعامل مع الكاميرا، ولكنني مهتمة جداً بالتصوير، لأنه يمكننا من تشكيل لوحة من خلال لقطة لا تكلّف إلا ثانية من الوقت، وهذه اللقطة نفسها تنقل لنا مشاعر وأفكاراً وجمالاً. الفكرة الأساسية لمشاركتي بالمعرض هي تحرر المرأة من قيودها التي تفرضها على نفسها ويفرضها عليها المجتمع والتي لا يمكن أن تتحرر منها إلا عبر امتلاكها لمفاتيح حياتها بالثقة وبالاستقلال».

في حين وليدة المسرح تاتيانا أبو عسلي تحدثت عن تجربتها قائلة «حاولت من خلال ما قدمته من لوحات والتي تحمل عنوان «روح» بألا يتوقف الزمن على الرغم من أنه معروف عن الكاميرا بأنها توقف الزمن، كي تخلّد اللقطة التي تعبر عن موضوع توثّقه، وحاولت أن أقدم أمرا مختلفا، وبأن يبقى إيحاء الزمن موجوداً».

سمة الحزن في الأغنية العراقية أثر البيئة والتاريخ

النكبات والنوائب والحروب على أرض العراق رسمت معالم الشجن

د. رحيم هادي الشمخي

جلجامش

المستمع للأغنية العراقية وعلى مرّ العصور، يجد أن عنوانها الرئيس وصيغتها الأساسية وثوبها الأزلي هو الحزن المصحوب بالشجن سواء كانت جنوبية أم غربية أو شمالية أو كانت الأبوذية أو الزهيري أو بستة غنائية، فتجدها في كرنفالات الفرح متألقة بشجنها، فما السر في ذلك؟ ومَنْ أسس لتلك الأهرامات المبنية من صخر الصبر والتأسي؟ فهل الشجن في أغنيتنا محض مصادفة أم إنه ألق من ملحمة جلجامش دوّنته مسلة حمورابي وجعلته أحد بنودها الثابتة التي لا يمكن تجاوزه، أم إنه نابع من تراتيل العشق بين «أنانا» و«سيدوري»، لذا تجد العراقي حتى في أسعد لحظات الزمن الجميل وفي قمة ترف الحياة التي يعيشها لا يطربه ويثلج صدره غير الشجن.

النموذج وكلمة «صراخو»

بحث موسع نشر في مجلة التراث الشعبي البغدادية في العام ١٩٨٢ بقلم الدكتور فوزي رشيد، يشير إلى سر تلك العلاقة، حيث يقول: إن هناك إشارات تؤكد أن الألحان السومرية القديمة تحمل في طياتها طابع الحزن والنوح، من تلك الإشارات أن العلاقة المسمارية الخاصة بكلمة أغنية التي تلفظ باللغة السومرية «شير» قد اقتبسها الأكاديون وعبّروا بواسطتها عن الفعل «ينوح» الذي معناه باللغة الأكادية «صراخو»، وكذلك عن الفعل يغني الذي لفظه ومعناه بالأكادية «زماروا» وهذا ما يدل على الشبه الكبير الذي كان موجوداً في العصر السومري القديم بين الغناء والنوح، وإلا فلماذا دون الأكاديون الفعليون بالعلاقة السومرية الخاصة بكلمة أغنية، وعلى سبيل المثال يقول رشيد إن هناك الأغنية العراقية الشهيرة «عيني وما عيني.. يا عنيد بيابة» التي ألّفها ولحّنها وأدّاها الفنان العراقي «حضيري أبو عزيز» وهو من محافظة ذي قار «الناصرية»، في الجنوب السومري من العراق، وهذه الأغنية كتبت وغنّيت ولحّنت وفقاً لإحدى الطرق السومرية التي تتمثل في تكرار شطر البيت الأول في جميع أبيات القصيدة وقد ظهر هذا الأسلوب بالأداء في الألف الثالث قبل الميلاد.

الحزن بأيام الفرح

من هذا المنطلق يتبين لنا أن الشجن في الأغنية العراقية هو موروث سومري بامتياز، والدليل الدامغ هو كلمة «ينوح» التي نستخدمها الآن وما يقابلها بالأكادي هي كلمة «صراخو» وكلمة يغني منبعها الأكادي وأصلها «زماروا» التي تشير إلى «الناي» وهو لسان الشجن الأكادي، وهذا الموروث السومري والأكادي الذي أصبح لصيقاً دائماً بالعراقي لم يستطع التخلص منه على الرغم من دخول الجيوش العربية الإسلامية للعراق، فبعد أن أصبح العراق عاصمة للدولة الإسلامية قام بإدخال ذلك الموروث حتى في الإسلام من خلال المنشد، أو ما يسمى الرادود في مواكب العزاء الحسيني، وخاصة في طقوس النوح الذي يستثير بكاء المستمعين في نهاية المحاضرة الدينية لرجال الدين، وهذه الطريقة التي تسمى «النعي» والمستخدمة حتى الآن تشابه إلى حد كبير ما كان يفعله مغني «الكالا» السومري القديم وصولاً إلى عصرنا الحديث إذ لم يستطع العراقي الهروب من صاحبه الشجن، حيث ذهب أغلب الباحثين العراقيين ومنهم الدكتور حسين سرمك حسن، إلى أنه رغم حالة الاستقرار والاسترخاء التي عاشها العراق في سبعينيات القرن الماضي، فإن فناني هذه الفترة لم يستطيعوا عكس هذه الفترة بأغنياتهم، بل إن سمة الحزن التي كانت الأبرز في هذه الأغاني أثبتت أنها معششة في الآذان العراقية وليس من السهل استبدال أغان تدل على الفرح بها.

أول أغنية في التاريخ

هذا يعني أنه مع استمرار الحياة وتزاحم الحروب والنوائب والنكبات على سكنة هذه الأرض، ازدادت، بل تجددت أغاني الشجن لترسم صورة الواقع الذي يعيشه العراقي ويحاول أن يصمد ويصارع الهم ويتأسى بشجن القيثارة السومرية من أجل صنع الحياة التي يريد، لتبقى أزمات الحزن ملازمة للأصوات الشعبية التي تملأ الساحة الغنائية، فهذا يصيح «ياويلي» وآخر يصيح «يابه» وثالث يهتف «بوياي» وهاتف ينادي «ويلاه.. ويلاه» و«آحاه منك يا زماني» وجميعها تؤكد سر العلاقة بين الشجن والأغنية العراقية، والشجن السومري يفرض وجوده في أول أغنية عاطفية عرفها التاريخ وعمرها خمسة آلاف عام، وعثر على مخطوطة في أهوار سومر في «الناصرية» في لوح طيني وبعض مقاطع تلك الأغنية السومرية العراقية تقول: «وسيم أنت جميل حلو كالعسل أيها الأسد، حبيب أنت في قلبي، وسيم أنت جميل، حلو كالعسل أيها العروس، لقد تمتعت وابتهجت معي، أمي ستقدم لك الطيبات وأبي سيغدق عليك الهبات، روحك أنا أدري كيف أبهج، روحك أيها العروس، اغف في بيتنا حتى الفجر».

القيثارة السومرية